

الشَّبَابُ وَالْقُرْآنُ فَهْمٌ مَقَاصِدٌ وَإِدْرَاكٌ وَقِيعٌ

إعداد الدكتور

أحمد حسين مهدي الأكرت

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقااهرة

جامعة الأزهر





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





الشَّبَابُ وَالْقُرْآنُ: فَهْمٌ مَقاصِدٌ وَإِدْرَاكٌ وَاقِعٌ

أحمد حسين مهدي الأكرت

قسم أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالبحيرة جامعة الأزهر الشريف

البريد الإلكتروني: ahmadalakrat321@gmail.com

الملخص:

تدور هذه الدراسة حول فَهْمِ الشَّبَابِ للقرآن الكريم فهماً يقوم على مقاصد هذا الكتاب الحكيم فيما جاء به من أصول العقيدة، والعبادة، والتربية السلوكية، والترابط الإنساني بين الأفراد والمجتمعات، وغيرها من المعاني التي استهدفها القرآن الكريم، وواقعيته في الاستجابة إلى دعاوي الخير ودوافع الإصلاح، فَهْمًا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَعِيشُوا فِي حاضِرِهِمْ ومستقبلهم مع الحياة الناهضة.

فهي تهدف إلى بيان أن أخطر شيء في حياة المجتمع المسلم وحاضره ضياع شبابه؛ إذ إن أعداء الإسلام يخافون أشد الخوف أن يستيقظ المجتمع المسلم من رقدته، ويضحوا من غفلته، فلم يجدوا ألبين عجيبة من الشَّبَابِ المَخْدُوعِ بِرِغَائِبِ الشَّهْوِيَّةِ، فَهْمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يكون هذا الشَّبَابِ خالٍ من المناعة الخلقية، وخاوٍ من المعرفة الإسلامية، ولذا نرى الفكر الشبابي المسلم في هذا العصر يتعرض لموجتين خطيرتين: إحداهما: تميل إلى الإفراط والغلو، والأخرى: إلى التفریط والتساهل، وكلا الطرفين ذميم، فكان لا بُدَّ أن يكون لدى الشَّبَابِ حَصَانَةٌ تَحْمِيهِ مِنَ الانْحِرَافَاتِ الخُلُقِيَّةِ والإلْحَادِيَّةِ، الأمر الذي يتطلبُ الإلمامَ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ، وَفَهْمِ مَقاصِدِهِ، وَاسْتِجْلَاءِ مَرَامِيهِ وَعَايَاتِهِ، وَمَعْرِفَةِ نَفْسِيَرِهِ، وما ذلك إلا لِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْأَقْدَرُ عَلَى أَنْ يُعَالِجَ بِمَنْهَجِيَّتِهِ السَّمْحَةَ مُشْكِلَاتِ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَأَرْمَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ، وَيُدْخِلَ النَّاسَ حَالَةَ السَّلْمِ كَافَّةً.

الكلمات الافتتاحية: الشَّبَابِ وَالْقُرْآنِ، مَقاصِدِ الْقُرْآنِ، فَهْمِ الْوَقَاعِ، بِنَاءِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، بِنَاءِ الْعَمْرَانِ.

Youth and the Holy Qur'an: . Understanding Objectives and Perceiving Reality

By: Ahmed Hussein Al- Akr'at
Department of Osoul El- Deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

This research is about youth's understanding of the Holy Qur'an relying on the objectives of this Wise Scripture which contains the origins of the Islamic creed, worship, behavioral education, humanitarian interrelations between individuals and their societies as well as other meanings targeted by the Holy Qur'an and its realism regarding response to calls for doing good deeds and motivating reformation. This understanding would enable youth to live their present and future times in an advanced life. The research stresses the fact that the most perilous matter in the life of a Muslim community at present is the loss of its youth since the enemies of Islam are extremely frightened of the Muslim community's uprising and becoming wide- awake. Therefore, those enemies would never find a more flexible component than the deceived youth who run after their lustful desires. They want that youth to be devoid of ethical immunity or Islamic awareness. Accordingly, the youthful Muslim thinking in this age is being exposed to two perilous waves: the first tends to be extravagant and excessive whereas the second seems tolerant and permissive but neither is despicable. Hence, there should be a kind of immunity to protect our youth from ethical deviations or atheism. Such immunity can be achieved through being knowledgeable about the meanings of the Holy Qur'an, understanding its objectives, clarifying its purposes and ends, perceiving its interpretation ...etc., because the Holy Qur'an is largely able to tackle, by means of its generous approach, the issues of human existence, the intellectual and cultural crises, and gather all people in peace.

Keywords: youth, the Holy Qur'an, objectives of the Holy Qur'an, jurisprudence of reality, establishing true creed, building construction.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد: فالشباب هم عُدَّة الأمم التي يسار بها إلى الأمام في طريق الرقي والنهوض، فالطاقة الشبابية تستطيع أن تنجز ما يشبه المعجزات إذا أحسن ترشيدها وتوجيهها التوجيه السليم؛ لما فيها من استنارة فكرٍ، وطفرة أملٍ، وصلابة عزيمةٍ.

وبما أنّ عالمنا اليوم يموج بتيارات متناقضة على نحو غير مسبوق، تلك التيارات التي تستهدف الشباب وتستقطبهم، فغير خافٍ على أحد ما تقدمه العولمة للشباب من خلال وسائل الاتصال، وثورة التكنولوجيا، الأمر الذي يتطلب تحصين الشباب المسلم ضد تلك التيارات الضارة التي تحيط به، وحمايته حتى يكون قادرًا على الإسهام في بناء المستقبل، وتزويده بالقيم الإسلامية الأصيلة، وتبصيره بمقاصد الشريعة ووسطيتها، وذلك على ضوء الهدى القرآني، وإتاحة فهم مقاصده للناس، بروح تقدر الواقع، وتقف معه وتواجهه، ولا تهرب منه، وتفهمه وتفهم طرائق علاجه، فتدحض زائف الواقع بالحجة النيرة، والترحيب بكل ما يظهر أنه حق وخير وهدى ورحمة للناس والحياة.

وإنني إذ أشارك في هذا المؤتمر بهذا البحث الذي يحمل عنوان: ((الشباب والقرآن: فهم مقاصد وإدراك واقع)) مساهمة في تبصير الشباب بأنّ هدايات القرآن الكريم تامة عامة تفي بحاجات البشر في كلّ عصر ومصر، وأنّ القرآن الكريم دون أدنى شكّ صالح لأن يعمل به في كل زمانٍ ومكانٍ؛ لجمعه في وقتٍ واحدٍ بين التمسك بالمبادئ والقيم وبين الواقعية التي تعني: تطبيقه على أرض الواقع بلا حرجٍ ومشقة، وأنّ لمقاصده دورًا حيويًا في بناء الحضارة والعمران، تستطيع الإنسانية بانتهاجه الحصول على الهداية والرحمة والنور، والتّحلي بجميع الفضائل والتّخلي عن جميع الرذائل، وتأسيس الحضارة الإنسانية. وقد اشتمل هيكل هذا البحث وعناصره على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة: وفيها بعد الثناء على الله - تعالى - والصلاة والسلام على رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وصعوبات البحث وتساؤلاته، والدراسات السابقة فيه

والجديد الذي يمكن أن يُقدّم من خلاله.

التمهيد: وفيه حديث القرآن عن الشباب، وعوامل الاستفادة من قدراتهم وطاقاتهم.

الفصل الأول: الشباب والفهم المقاصدي للقرآن الكريم: أهدافاً وغايات، وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: مقاصد القرآن: تأسيسٌ وتجديدٌ.

المبحث الثاني: مقاصد القرآن ودورها في ترقية النوع الإنساني.

المبحث الثالث: معالم التعامل مع القرآن الكريم.

الفصل الثاني: الشباب وفقه الواقع: رؤية قرآنية تأصيلية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القرآن وفقه الواقع: دلالاتٌ وهدايات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فقه الواقع: فحواه ومعناه.

المطلب الثاني: منهج القرآن في التعامل مع فقه الواقع.

المطلب الثالث: فقه الواقع ومقاصد القرآن الكريم.

المبحث الثاني: عناية القرآن بواقع الإنسان.

الفصل الثالث: صور من فهم مقاصد القرآن في فقه الواقع، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التوجيه القرآني في بناء العقيدة الصحيحة ومعالجة الإلحاد.

المبحث الثاني: التوجيه القرآني في بناء العمران ومعالجة البطالة.

الخاتمة ثم الفهارس.

صعوبات البحث:

من أكثر الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث، هي: بيان كيفية الاستفادة من مقاصد القرآن

وتطبيقها على الواقع، ذلك أنّ الخطاب القرآني ذو وجودين: وجود واقعي خارجي يتمثل فيما بين

الدفنين من سور وآيات في أجزاء وأحزاب، ووجود معنوي تدل عليه الألفاظ المضمنة في آيات وسور،

وهي مدلولات الآيات والسور ومعانيها، فكأن الآيات والسور دالٌّ والمعنى مدلول عليه، وكأن اللفظ

–آنذاك– يأخذ دور علامة تدعو الباحث للنظر والتأمل والتدبر والتفكير والتذكر والتعقل؛ ليكتشف

الارتباط والعلاقة بين الدال والمدلول، فالمعنى والمدلول هما المعرفة التي نبحت عنهما، ونريد



الوصول إليهما، والوعاء المعرفي الذي نسعى للوصول إلى المعرفة الكامنة فيه والكشف عنها. وهو ما عبر عنه الشاطبي بقوله: (كلّ عاقل يعلم أنّ مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة بل التفقه في المعبر عنه وما المراد به).^(١)

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتنقيب في المصادر والمراجع الخاصة بالدراسات القرآنية لم أجد من الباحثين من تناول هذه النقطة وعالجها بمثل ما عالجتها به، غير أنني عثرت أثناء كتابة هذا البحث على مؤلف بعنوان: القرآن والشباب، أد/ أحمد حسن فرحات، غير أن هذه الدراسة تميل إلى ذكر نماذج ممن تأثروا بالقرآن وأثروا به من القدامى والمحدثين؛ لتكون بمثابة مرجع للشباب، ينهلون من معينها، وهي تختلف تمامًا عن دراستي هذه.

فما قمتُ به في هذه الدراسة هو فتح الأبواب والنوافذ؛ لينشر الضوء أودية أشعته على الأفكار والعقول والقلوب والأرواح، وتجدد النسائم النقية أجواء الحياة؛ ليتم تحويل الدراسات القرآنية إلى حقائق واقعية.

(١) - الموافقات في أصول الفقه ٣/ ٤١٠.

تمهيد

وفيه حديث القرآن عن الشباب، وعوامل الاستفادة من قدراتهم وطاقاتهم

الشَّبَاب جمع: شَابٌ، وهو: النماء والزيادة بقوة جسمه وحرارته؛ إذ الشين والباء أصل واحد يدل على نماء الشيء، وقوته في حرارة تعتريه، كما أنه يدل على الفتاء والحدائث. (١)

وقد وردت مرحلة الشباب هذه - والتي هي فوق الصبيان ودون الشيوخ - بمسميات عدة في القرآن تدور كلها حول معنى العطاء والقوة، فقد ذكرها الله تعالى بالفتوة (٢)، قال تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٣)، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنْهُمْ هُدًى﴾ (٤)، وورد ذكرها بالقوة (٥): ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (٦)، وبمعنى الأشد (٧): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ (٨) في يوسف وموسى - عليهما السلام، ﴿وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٩)، وبمعنى الرشد (١٠): ﴿وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (١١).

- (١) - مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ١٧٧، لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٨٠، تاج العروس للزبيدي ٣/ ٩١، مادة (شَبَاب).
- (٢) - تفسير ابن كثير ٥/ ٢٠٤، ٥/ ٨٤.
- (٣) - سورة الأنبياء الآية (٦٠).
- (٤) - سورة الكهف من الآية (١٣)، والتعبير عن الشباب بالفتية؛ إشارة إلى ما هم فيه من اكتمال خلق الرجولية، الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق. ينظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٢٦٦.
- (٥) - تفسير النسفي ٣/ ٢٧٦.
- (٦) - سورة الروم من الآية (٥٤).
- (٧) - تفسير الطبري ١٥/ ٢١.
- (٨) - سورة يوسف من الآية (٢٢)، والقصص من الآية (١٤).
- (٩) - سورة الأنعام من الآية (١٥٢).
- (١٠) - زهرة التفاسير لأبي زهرة ٣/ ١٥٩١.
- (١١) - سورة النساء من الآية (٦).

وقد حددت هذه المرحلة بسنّ الأربعين كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾^(١). فالشباب إذن مرحلة القوة والنشاط يتميز فيه الشخص بالفتح الذهني، والقوة البدنية، وخصب العاطفة، والأمل الواسع، والحرص الشديد على الأخذ من كل ألوان الحياة بأكبر نصيب، فهم العمدة الأساسية للمجتمع، تشدّ من قوته، وتصون وجوده، وتسير به إلى الأمام في طريق الرقي والنهوض.

وقد حكى لنا القرآن الكريم أخبار بعض الشباب الذين أبلوا بلاءً حسناً في عالم الإصلاح والنهوض بالمجتمع، فذكر لنا سيدنا إبراهيم - عليه السلام - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذُؤًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدْعُوهم يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴾^(٣).

وذكر القرآن لنا يحيى بن زكريا - عليهما السلام -، فقد آتاه الله الحكمة وكان في باكورة شبابه، وفورة قوته: ﴿ بَنِيحَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاتَّبِعْهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴾^(٤).

وذكر لنا - أيضاً - أن يوسف - عليه السلام - واجه كثيراً من المآسي وهو في ريعان شبابه، ثم خرج من هذه المحن؛ ليكون أميناً على خزائن الأرض..

وحكى لنا القرآن الكريم خبر الفتية (أصحاب الكهف) الذين فرّوا بدينهم، مؤثرين العقيدة على الدنيا، مواجهين بعزمهم كلّ تهديد ووعيد، قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾^(٥).

وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ما أتى الله عبداً علماً إلا شاباً، والخير كلّهُ في الشباب^(٦).

(١) - سورة الأحقاف من الآية (١٥).

(٢) - سورة الأنبياء الآية (٥١ - ٥٢)، ينظر: البحر المديد لابن عجيبة ٤٠ / ٣.

(٣) - سورة الأنبياء الآية (٥٨ - ٦٠)، ينظر: نظم الدرر للبقاعي ٤٣٨ / ١٢.

(٤) - سورة مريم الآية (١٢)، ينظر: خواطر الشيخ الشعراوي حول القرآن الكريم ٩٠٤٢ / ١٥ وما بعدها.

(٥) - سورة الكهف من الآية (١٠)، ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٥٩٧ / ٨ وما بعدها.

(٦) - إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ١٤٤ / ١.

فالقرآن الكريم وضع الأصول الأولى للمنهج الصحيح في تربية الشباب وتوجيهه؛ إذ الإشادة بالشباب والاستفادة من استعداداته ومواهبه، وكان منهم من صنع ما يشبه المعجزات في عالم البطولة والشجاعة والعلم والاختراع وكل ألوان الحضارة وفنون العمران، وأفادت منهم الإنسانية إفادة غيرت وجه التاريخ تغييراً شاملاً انتقلت بعده الدنيا إلى طور جديد من المدنية ما كان ليوجد لو لم يحى دين الإسلام. والاستفادة من هذه المرحلة العُمرية، واستغلال طاقاتها تركز حول مجموعة من الواجبات يجب تعلمها وتعليمها للشباب، وهي على النحو التالي:

- ١- أن يحرص الشباب على اغتنام هذه الفرصة الذهبية من حياتهم، التي لا يعرف قدرها إلا إذا وَهَنَ عظمه واشتعل الرأس شيباً، وأدبرت الحياة عنه.
 - ٢- أن يطيل فترة شبابه كيقاً وإن قصرت كمّاً وعدداً، فيقبل على ما يقبل عليه الكبار، ويجلس مجالس الشيوخ العقلاء، ولا يدع هذه الفترة تمرّ عليه مع المغريات ومتطلبات الشهوة.
 - ٣- فهم الدين فهمًا صحيحًا واعياً، فلا ينسلك من القيم الدينية والأخلاقية، ولا يتجه إلى الغلو والتطرف في الدين.
 - ٤- أن يتصور الشباب الأخطار التي تكتنف بلاد الإسلام، فلا يسير مع تيارات العنف والإرهاب.
 - ٥- أن يملأ الشباب حياتهم بالتفاؤل والنصر، ويقطع دابر اليأس والقنوط، فلا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس.
 - ٦- أن يعمل الشباب، فهم قوة، فلا يستسلموا لمرض البطالة الذي يؤدي بهم إلى الانحراف.
 - ٧- أن يتعلم الشباب كيف تكون القدوة الصالحة الطيبة، فيتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، ويتعلم عنم يأخذ دينه ويفهمه.
- إنّ الشباب الصحيح يتجلى في التزام الخط الذي رسمته الطبيعة لكلّ من الجنسين، ويستضيء بالهدى السماوي الذي يكشف له المعالم وينبهه إلى الأخطار والعقبات.^(١)

(١) - رسالة إلى الشباب، إعداد نخبة من كبار المفكرين وعلماء المسلمين ص ١٠ وما بعدها، ط: وزارة الأوقاف المصرية، قضايا معاصرة بقلم مجموعة من العلماء ص ١٢٠، الفكر الديني وقضايا العصر، أ د/ محمود حمدي زقزوق ص ٢٠٧ ط: مجلس حكماء المسلمين.



الفصل الأول

الشباب والفهم المقاصدي للقرآن الكريم: أهداف وغايات

مدخل: إنَّ الاهتمام بالشباب وإعداده لتحمل المسؤولية ومواجهة التحديات أضحت قضية عظيمة، خاصة وأنَّ الهجمة الشرسة التي يقودها أعداء الإسلام تستهدف الشباب، الأمر الذي يوجب أهمية القيام بتقديم الضمانات الملائمة لحفظ الشباب من هذه الهجمات، ووضع مناهج موثوقة وصحيحة لمعالجة قضاياهم، والرد على تساؤلاتهم، مناهج تركز إلى حقائق تقوم عليها، وتتناسب مع مرحلتهم العمرية، وتتسم بالوضوح والشفافية، ذاك التي نجدها في الشريعة الإسلامية - قرآنًا وسنة - والتي امتازت بربانية مصدرها، وشمولية أحكامها وتشريعاتها، ومرونة مبادئها وقواعدها، وتوازن خصائصها التشريعية، وتيسيرها وسهولتها، وبإعجاز مصدرها وهو القرآن الكريم المحفوظ بحفظ الله له ولم يتغير بتغير الزمان: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١)

ومن هذه الضمانات التي هي بمثابة حصانة يتحصن بها الشباب فهم القرآن فهما يقوم على حقائق العلم الصحيح، وهذا فيه ثلاثة مباحث:

(١) - سورة الحجر الآية (٩).

المبحث الأول

مقاصد القرآن: تأسيس وتجديد.

المقاصد^(١) القرآنية، هي: علم يعرف منه مقاصد السور، وموضوعها: آيات السور، كل سورة على حياها، وغايتها: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة، ومنفعتها: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير.^(٢)

فهي علم يبحث في الحكم والمقاصد الدقيقة التي تمثل روح القرآن وأسراره العظيمة، ويبرز إعجاز القرآن وبلاغته وكماله؛ لما فيه من تعبير عن فلسفة وحكمة السورة الذي ترجع إليها دلالات السورة ومضمونها؛ لتسري في جميع أجزاء السورة.

وتتجلى أهمية علم مقاصد القرآن فيما يأتي:

- انطواء القرآن الكريم على أسمى المقاصد، فهو ينبوع النقول والعقول؛ إذ جميع المقاصد الشرعية في جملتها وتفصيلها، تصريحاً أو تضميناً، نابع من هدي القرآن.
- تجلّي وجه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وكماله ودقة نظمه، الأمر الذي يبعث على رسوخ الإيمان في القلب، فالإنسان إذا دقق النظر في معاني القرآن ومقاصده عظم عند الموقع الإعجازي للقرآن.

(١) - المقاصد جمع مقصد، وهو مأخوذة من (قصد) القاف والصاد والذال أصول ثلاثة، يدل على أمرين: أحدها: على إتيان شيء وأمه، والآخر: على اكتناز في الشيء، يقال: قصده قصداً ومقصداً، أتيته واعتمدت عليه. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٥، لسان العرب لابن منظور ٣/٣٥٣، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٩/٣٦.

فمادة (المقاصد) تدور حول الاعتماد والأمان وإتيان الشيء، وبين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي رباط، فالغرض من المقاصد القرآنية تحديد المعنى الأم، والجوهر الأسمى الذي اعتمدت عليه السورة القرآنية، والإتيان بما يفي حاجات البشر، ويصلح أحوالهم، ويحقق لهم السعادة والفلاح في الدارين: الدنيا والآخرة.

(٢) - مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/١٥٥، ومقاصد الشريعة عامة، هي: الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو: تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين. الموافقات في أصول الفقه للشاطبي ٣/٣٤٦، ت: أد/ محمد عبد الله دراز، الاجتهاد المقاصدي: ضوابطه ومجالاته، نور الدين الخادمي، ص ٣٥.

- عاملٌ مساعد في التدبر واستجلاء دقائق المعاني وفوائدها؛ لما فيه من انتهاز البُعد المقاصدي.^(١)
 - سبيلٌ للسلامة من الخطأ والتفكيك بين اللفظ والمعنى، وتفسير كلام الله على غير مراده، فهو يجعل كلام الله مؤتلفاً منتظماً على نحو كمال نظمه ومعناه.^(٢)
- فلما كان القرآن الكريم هو الأقدر على أن يعالج بمنهجيته السمحة مشكلات الوجود الإنساني، وأزماته الفكرية والحضارية، كان لا بُدَّ من الإلمام بمعانيه، وإدراك مقاصده، واستجلاء مراميهِ وغاياته، والوصول فهمه ومعرفة تفسيره؛ إذ إن التحديات الفكرية والاقتصادية والحضارية المعاصرة التي تستهدف البناء القيمي التشريعي الإسلامي لن يكون مقدوراً عليها إلا بتشكيل العقل العام، والضمير المجتمعي المتشبع بالروح العقديّة، والفكرية الأصيلة، والروح المعنوي والوجدانية العالية، والنفس الإصلاحية التعميري الشامل، والرغبة في الشهادة على العالم، وإحياء الخيرية والرحمة لكافة الناس؛ إذ هذا من أهم مقاصد القرآن وهداياته.

(١) - مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران (دراسة تحليلية تقويمية) د/ أردوان مصطفى إسماعيل المزروي، ص ١٣١.

(٢) - النبأ العظيم، ص ١٨٨، بتصرف يسير.

وقد ذكر ابن عجيبة موانع الفهم التي تحول دون التأمل في القرآن، وأن معظمها أربعة موانع: أولها: صرف الهمة إلى إخراج الحروف من مخارجها، وكذلك الاشتغال بضبط رواياته، فأني تنكشف لهذا أسرار المعاني.

ثانيها: أن يكون مقيّداً بمذهب، أخذه بالتقليد، وجمد عليه، فلا يمكن أن يُخطَر بباله غير معتقده، فلا يتبحر في معاني القرآن لأنه مقيّد بما جمد عليه.

ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلى بهوى في الدنيا، وبهذا ابتلى كثير من الناس.

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً، واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا هذا، وأمّا ما وراء ذلك تفسير بالرأي أي المذموم، فهذا أيضاً من أعظم الحُجب.

فالفهم في القرآن الكريم لا ينقطع إلى الأبد، فهو بحر مبذول، يغرف منه كل واحد على قدر وسعه، إلى يوم القيامة. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥/ ٢٤، ت/ أحمد عبد الله القرشي.

المبحث الثاني

مقاصد القرآن ودورها في ترقية النوع الإنساني.

قد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة عامة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر، ولمقاصد القرآن دور حيوي في بناء الحضارة والعمران، تستطيع الإنسانية بانتهاجه الحصول على الهداية والرحمة والنور، والتحلي بجميع الفضائل والتخلي عن جميع الرذائل، وتأسيس الحضارة الإنسانية.

فالقرآن الكريم هو خطاب الله - تعالى - للمؤمنين، بل وللإنسانية جمعاء؛ إذ تراه يقدم للإنسانية مزيجاً صالحاً من عقيدة راشدة ترفع همّة العبد، وعبادة قويمة تطهر نفس الإنسان، وأخلاق عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله في الأرض، وأحكام شخصية ودينية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد، وتطمئن له حياة الطمأنينة والسلام والسعادة، يشبع حاجات القلب والعقل، ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا، ويجمع بين عز الآخرة والأولى، كل ذلك في قصد واعتدال، وبراهين واضحة مقنعة تبهر العقل وتملك اللب. (١)

وإلى ذلك يشير الإمام الطاهر ابن عاشور، فيذكر بأن المقصد الأعلى من القرآن: (صلاح أمر الناس كافة: صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، عن طريق أمور ثمانية: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق. الثاني: تهذيب الأخلاق.

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة.

الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

(١) - مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني ٢/ ٢٦٢، ٢٨٦، النبأ العظيم، ص ١٤٨، مقاصد

الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ص ٩٣، ٩٤، ط: طار الغرب الإسلامي، (٥) ١٩٩٣ م.



الثامن: الإعجاز بالقرآن؛ ليكون آية دالة على صدق الرسول.^(١)
فالمقاصد تقوم على إيجاد الواقع السليم لتنفيذ أحكام الله - تعالى-، وضمان استمرارها وتأييدها وفعاليتها، وتطبيقها نصًا وروحًا، مظهرًا وجوهريًا، وجدانًا وسلطانًا.

(١) - التحرير والتنوير ١/٣٨، ٤٠، وينظر: الوحي المحمدي للسيد محمد رشيد رضا، ص ٢٠٧، تفسير المنار ١١/٢٠٧ وما بعدها، محاسن التأويل للقاسمي ١/١٨٣.

المبحث الثالث:

معالم التعامل مع القرآن الكريم.

حين يواجه المسلم أمورًا يحتاج فيها إلى ترشيد القرآن وتوجيهه، فإنه يقتضي الالتزام بعدة معالم، منها:

١- أن هذا القرآن كتاب هداية، بمعنى: منح العقل المسلم الذي يهتدي بنوره منظومة شاملة من عناصر التفكير المنهجي التي تجعله قادرًا على تفسير وتقويم كل ما يصل إليه من معرفته الكونية أو الوجودية.

٢- التعامل مع القرآن باعتباره المرجعية العليا التي يطمئن القلب والعقل إليها؛ كي يأخذ عنها ويستنبط منها عناصر تحركه الذهني والنفسي والسلوكي، منها:

- استنباط القواعد والمبادئ العامة التي توجه النظر، وتضبط التقويمات، ومنها: رفع الحرج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١)، المشقة تجلب التيسير، والأمر إذا ضاق اتسع: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٢)، حرية العقيدة: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣).
- استنباط السنن الإلهية الحاكمة لحرية الإنسان والمجتمعات، والتي توجه النظر - أيضًا - وتساعد على حسن فهم الوقائع والأحوال المتغيرة، بناء على أن كل شيء مخلوق بقدر ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرٍ﴾^(٤)، وأن الله سنة في تقدير الحياة وأحداثها ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٥)، ومن هذه السنن سنة الدفع بين الناس أو التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٦)، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ

(١) - سورة الحج من الآية (٧٨)، ينظر: زهرة التفاسير ٩/٥٠٣٧.

(٢) - سورة البقرة من الآية (١٨٥)، ينظر: تفسير آيات الأحكام للصابوني ١/٨٣.

(٣) - سورة الكهف من الآية (٢٩).

(٤) - سورة القمر الآية (٤٩).

(٥) - سورة فاطر من الآية (٤٣)، ينظر: نظم الدرر ١٦/٧٥.

(٦) - سورة الحج من الآية (٤٠)، ينظر: التفسير المنير د/ وهبه الزحيلي ١٧/٢٣٠.

اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴿١﴾، وسنة الاختلاف والتعدد والتنوع: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ﴾ ﴿٢﴾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَابَ وَالْوَسْمَانَ﴾ ﴿٣﴾، وسنة التداول والمداولة: ﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ﴿٤﴾.

- استنباط الأحكام الشرعية، التي تحكم التوجه والسلوك، وتحرم الظلم والعدوان.
- استنباط المقاصد الكلية أو العامة، وهي: حفظ النفس والديانة والنسل والعقل والمال أو ما يمتلكه الأفراد.

وهذا التعامل مع القرآن لا بد أن تحكمه ضوابط فهم، أهمها:

- ١- الكتاب نفسه، بمعنى أنه لا بد من الجمع بين أدلة ونصوص آيات كل مسألة، والجمع بين الآيات يجلي الفهم، ويمنع من الوقوع في خطأ الفهم والاستدلال.
- ٢- السنة: وهي ضابط آخر لفهم القرآن والاستنباط منه؛ إذ هي شارحة مبينة له، ذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥﴾، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ ﴿٦﴾، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ ﴿٧﴾.

(١) - سورة البقرة من الآية (٢٥١).

(٢) - سورة هود من الآية (١١٨).

(٣) - سورة الروم من الآية (٢٢)، ينظر: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٢١/٧٣.

(٤) - سورة آل عمران من الآية (١٤٠)، ينظر: تفسير المنار ٤/١٢١، وما بعدها.

(٥) - سورة النحل الآية (٦٤).

(٦) - سورة النحل من الآية (٤٤).

(٧) - سورة النساء الآية (١٠٥).

- ٣- اللغة العربية: فالقرآن كتاب عربي مبين يُعقل بالعربية؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١)، ﴿ كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).
- ٤- الإجماع: فما أجمعت الأمة أو علماء عصر على فهمه بمعنى، وجب لمن علم به أن يتقيد به ولا يخالفه، وإن جاز له أن يفهم غيره بغير مخالفة المجمع عليه.
- ٥- المقاصد الشرعية.
- ٦- التعامل مع القرآن على أساس أنه كتاب إعجاز، فكل ما فيه معجز: لفظه ومعانيه، وترتيبه وعباراته، وكلماته وحروفه، ونبوءاته وقواعده المحكمة، وهذا متصل بمعنى هدايته، فهو خارج دائرة الإمكان أو الاستطاعة البشرية: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٣).
- هذه مفاتيح من تملكها وجود فيها بالالتزام والملازمة بحيث صارت منهجًا له، يمكنه أن يتعامل مع القرآن تعاملًا صحيحًا، لا يجعله مقصورًا على ألفاظه ونصوصه دون معانيه ومراميه. (٤)

(١) - سورة يوسف الآية (٢).

(٢) - سورة فصلت الآية (٣).

(٣) - سورة الإسراء الآية (٨٨).

(٤) - الطريق إلى التراث الإسلامي: مقدمات معرفية ومدخل منهجية، أ.د/ علي جمعة محمد، ص ١٦٠ : ١٦٨ بتصرف، ط: نهضة مصر، (١) ٢٠٠٤م، ينظر: الإنتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٩٣٠ وما بعدها، تفسير المنار ٤١/ ٤٢.



الفصل الثاني

الشباب وفقه الواقع: رؤية قرآنية تأصيلية

مدخل: إن القرآن المجيد قد وجّه الشباب إلى فقه الواقع، وضرورة تحليله ودراسته وفهمه بما لا مزيد عليه؛ إذ يدعو إلى النظر الدقيق في الوقائع والظواهر في حالاتها المختلفة، ودراسة كل ما من شأنه أن يكشفَ علمياً عن طبيعة الفعل الإنساني، وهناك مئات الآيات الكريمة قد نبهت إلى الواقع وأهميته وضرورة دراسته وتحليله، وما أسباب النزول، وعلم المناسبات والسور والآيات التي قامت بتحليل الواقع المكي والمدني والعالمي إلا نماذج تدلّ بمختلف أوجه الدلالة على أهمية فقه الواقع ودراسته.

فعلى الشباب الوعي بواقعهم والثقافة السائدة فيه، والقضايا التي طرحها عليهم عصرهم، والتغيرات النوعية الخطيرة التي أفرزت هذا الواقع، بحيث يكون الشاب متديناً دون أن ينفصل عن عصره وواقعه، ومعاصراً دون أن ينفصل عن عقيدته، أو يتجاوز ثوابت شريعته

(^١)، وهذا الذي تتناوله المباحث التالية:

(١) - معالم في المنهج القرآني، أد/ طه جابر العلواني، ص ٧٨ وما بعدها بتصرف، مقاصد الشريعة، أد/ طه جابر العلواني،

ص ١٦٣، بتصرف، ط: دار الهادي - بيروت، (١) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م..

المبحث الأول

القرآن وفقه الواقع: دلالات وهدايات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فقه الواقع: فحواه ومعناه.

فَقَهُ - بالكسر - الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به.^(١)
الواقع اسم فاعل للفعل وقع - الواو والقاف والعين أصل واحد - وهو يدل على سقوط الشيء، تقول:
وقع الشيء: سقط، ووقع بالأمر: أحدثه وأنزله، ووقع منه الأمر مَوْقِعًا حَسَنًا أو سَيِّئًا: ثَبَتَ لَدَيْهِ،
والواقِعَةُ: النازِلَةُ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ.^(٢)

وفقه الواقع كمصطلح يعني: إدراك سمات الواقع، ومعرفة العوامل المؤثرة في المجتمعات من قضايا النوازل، والمتغيرات النوعية، والوقائع المتجددة، ومستجدات العصور، والقدرة على معالجتها وحل إشكالاتها حالاً ينسجم وخصائص هذه الشريعة الإسلامية.

(فالواقع في المنظور القرآني يعني: تحويل الدواعي والدوافع والإرادات إلى عزائم ومقاصد يجري السعي لتحقيق وجودها في الخارج، فيتحول الوجود الذهني والعقلي ثم اللفظي إلى وجود حسي ملموس بفعل إنساني شاركت الطبيعة بعناصرها ومنها الزمان والمكان في تهيئة الموقع المطلوب لوقوعه بتسخير إلهي لها، وتتجلى فيه مظاهر القدرة الإلهية المحيطة بذلك - كله -

والقرآن المجيد يقدم لنا دليلاً هادياً في بناء هذا العلم "علم فقه الواقع" فهو يتناول كل ما اعتبرنا من عناصر الواقع ومكوّناته، وما يمكن أن نعالج به سائر مبادئه^(٣)، أي: أنه عبارة عن السنن الإلهية، والأفعال الإنسانية الحاصلة في الزمن المعاصر.

(١) - مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٤٤٢، تاج العروس للزبيدي ٣٦/٤٥٦ مادة (فقه).

(٢) - مقاييس اللغة لابن فارس ٦/١٣٤، لسان العرب لابن منظور ٨/٤٠٢، تاج العروس للزبيدي ٢٢/٣٥٢ مادة (وقع).

(٣) - معالم في المنهج القرآني ص ٨٠، ٨٢ باختصار.

المطلب الثاني: منهج القرآن في التعامل مع فقه الواقع.

إن ارتباط القرآن الكريم بأي واقعة إنسانية أو ظاهرة اجتماعية أو فترة تاريخية، لأبد فيه من فهم عميق لملاسات ذلك الواقع، وإدراك جيد لحكمة التشريع ومراميه، وسعي جاد لتحصيل ما يصلح للناس ويفيدهم؛ لأنّ الواقع تتداخل معطيته، وتتسارع أحداثه وقضاياها ونوازلها؛ لذلك فإن هناك قواعد وضوابط قرآنية للتعامل مع الواقع، أهمها:

- ١ - مراعاة السنن الإلهية في الكون، وأن هذه السنن لا تحابي أحداً، ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ^ط وَكَانَ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(١)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(٢).
- ٢ - (سلامة المقصد في تنزيل الآيات، والتجرد من المذهبية العصبية، والأهواء السياسية وما شاكلها مما لا يهدف إليه القرآن الكريم، فحمل القرآن على عقيدة معينة أو مذهب خاص، هو - مما لا شك فيه - من بدع التفاسير.
- ٣ - العلم وقوة تأصيله الشرعي، ومعرفته بأصول التفسير وقواعده، من حيث العلم بأسباب النزول؛ لأنه معين على فهم الآية، ومعرفة سياق الآيات فما كان سياقه في وقائع الآخرة فلا يجوز تنزيله على واقع الدنيا؛ لأنّ لكل منهما خصائص وفوارق تختلف عن الأخرى.
- ٤ - التبصر بالواقع المعاصر، والعلم بأحوال الناس، وألا يكون مجرد حافظ للنصوص؛ لأنّه لا بد من الارتباط بين إدراك الوقائع وفهم الآية؛ إذ العلم بأحوال البشر وواقعهم من شروط تفسير القرآن الكريم^(٣)، ومن الضروريات المهمة لإدراك حقائق الزمان^(٤).

(١) - سورة فاطر من الآية (٤٣).

(٢) - سورة الرعد من الآية (١١).

(٣) - تفسير المنار ١/ ٢٠، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٠م، ينظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ص ٣٣٦ وما بعدها، ط: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، عام ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.

(٤) - تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، ص ٨٩ وما بعدها بتصرف، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١) ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

ولنا في أسلافنا من أعلام العلماء، حكماء الإسلام الأسوة الحسنة فقد خاضوا بحار العلوم، ولجج المعارف، واقتحموا حصون الأفكار في أزمانهم، ولم يتركوا منها مشرعاً إلا وردوه، واتخذوا من كافة معارفهم وأفكارهم معينا لفهم كتاب الله فهماً يقوم على حقائق العلم الصحيح؛ لتبين هدايته، وإقامة حجته، فما موقفنا نحن من عصرنا ومعارفه ووسائله وأفكاره ومذاهبه؟

إننا مطالبون بأن نتقدم إلى البحث في القرآن الكريم بوسائل عصرنا، ونخوض في بحار معارفه بعقولنا التي ربّاهها القرآن الحكيم وحرّيته، وبراعة أسلوبه، ولطف مدخله، ودقة تصويره، ورائع تناوله لقضايا الحياة والكون، مع عنايته بتثبيت قواعد الإيمان في قلوب دارسيه من المؤمنين؟^(١)

المطلب الثالث: فقه الواقع ومقاصد القرآن الكريم.

لما كان فقه الواقع يعني معرفة الواقع من حيث استناد تلك المعرفة إلى الشرع، وانضباط تلك المعرفة الشرعية للواقع بقواعد الشريعة، فللشريعة أحكام تنطوي على مقاصد، فإنه (لا بُد وأن نأخذ القوانين القرآنية الموضوعية، والمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية ونذهب بها إلى الواقع؛ لنكتشف كيف أنّ الرسالة قامت على المنهج والمنطق، وربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، وأن العقل الإنساني في هذه الرسالة يتمتع بكامل صلاحياته، بل عليه أن يستثمر كل طاقاته؛ لتحقيق الأهداف التي لا تتحقق إنسانية الإنسان بدونها، فالإنسان يتفاعل في هذه الرسالة الخاتمة مع العالم الطبيعي والواقع المنظور، إنّه يتعامل بكلّ وعيه التي زود بها: السمع والبصر والفؤاد مع العالم الطبيعي والسنن والقوانين التي تحكمه، بل ومع الغيب النسبي).^(٢)

إن القرآن الحكيم في جميع ما تحدث عنه من عقيدة وتشريع وأدب وأخلاق وسياسة واجتماع وعرض لجمال الكون وآياته الباهرة لا يمكن على مدى الدهور والأيام مهما اتسعت دائرة العلم والاختراع، واستبحرت الحضارات المستقيمة أن تصادم آياته الكريمة علماً مقطوعاً بحقيقته، ولا كشفاً عرفت

(١) - نحو منهج لتفسير القرآن للشيخ محمد الصادق عرجون، ص ٦١، ط: الدار السعودية، (٣) ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.

(٢) - مقاصد الشريعة، أد/ طه جابر العلواني، ص ١٥٦، ١٦٣، بتصرف، وينظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن

القيم ١١/٣، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

مبادئ ونهاياته وسائر ظروفه التي أحاطت بوجوده، ضرورة أن القرآن دستور شريعة عامة خالدة خاتمة الشرائع السماوية، فهو حق من عند الله، والحق لا يصادم الحق، فإن جاءت هذه المصادمة - ولن تجيء - عمدنا إلى قانون التأويل العربي الصحيح.^(١)

وإذا كان هناك تلازم بين الظواهر السلوكية والعقدية للبشر، وبين تلك السنن الطبيعية التي بمقتضاها تكون الحياة حياة طيبة أو معيشة ضنكا انعكاسا واطرادًا، فإنه لا بد من تأصيل معاني القرآن في عقول الأمة، وانتشار الوعي به لدى الشباب، بمعنى: أن نتقدم إلى هذا الكتاب الأكرم نستهديه ونستلهمه مستعينين بما خلف لنا سلفنا من أصول، ودعائم، نهض ونهض على ركائزها تفسير القرآن الحكيم بما يحقق للأمة الإسلامية خلافتها، وحملها راية الريادة في تطلعات الإنسانية إلى آفاق العزة.

(١) - نحو منهج لتفسير القرآن للشيخ محمد الصادق عرجون، ص ٦٩، وينظر: فصل المقال، لابن رشد الحفيد، ص ٣٢، تحقيق: د/ محمد عمارة، ط: دار المعارف (٢)، الموافقات في أصول الفقه للشاطبي ٢٧/٣، محاسن التأويل للقاسمي ١١٧/١.

المبحث الثاني

عناية القرآن بواقع الإنسان.

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اعتنى القرآن بواقع الإنسان حيث الخطاب المكي العقدي، والخطاب المدني التشريعي، فالواقع المكي كانت فيه العقلية العامة تحتاج إلى ما يعيد بناء أصولها ومعتقداتها، وإذ قد رسخت العقيدة في الأذهان، واستوطن الإيمان في النفوس، أضحت العقلية العامة تحتاج إلى ما يرشدها في التشريع والأحكام فكان الخطاب المدني.

بل إذا ذهبنا بعيداً نجد أنه قد توالى على الإنسانية الحلقات الدينية على يدي المرسلين ممن اصطفاهم الله تعالى؛ حتى بلغت كمالها الأكمل بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن الكريم، وكل حلقة من حلقات الدين هي الكمال الأكمل لمن أرسل الله إليهم هذه الحلقة الدينية، ولكن الإنسان هو الذي يحتاج إلى ان يتطور في إنسانيته وأخلاقه وسلوكه وقيمه وعلمه وعمله، ولا كمال له إلا بالإسلام، واتباع تعاليم الإسلام.^(١)

وقد رسم القرآن الحكيم للإنسان حضارته، وجعل ركائز الحضارة الإنسانية تنحصر في أربع:

- ١ - حقيقته في أن يستبصر في نفسه ويبصرها: ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴾^(٢)، ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۗ ﴾^(٣)، بمعنى: أن يتكشف من نفسه بنفسه: أحاسيسه، ووجدانه، وقواه الروحية والباطنية، ومركزه من الكون، ومن الإنسان، ومن الله.
- ٢ - يؤكد إنسانيته بتوثيق أواصر الأخوة، والحب، والود، والتعاطف، والتعاون، والتشارك مع أخيه الإنسان: زوجا كان، أو أباً، أو أماً، أو شريكاً، أو جاراً ٠٠٠ ثم يرتبط بإنسانيته مع خالقه، ومع الكون.
- ٣ - يحقق خلافته بأن يراعي حقَّ مَنْ خَلَقَهُ بالطاعة، وحقَّ ما خُلِّفَ عَلَيْهِ بالسيادة؛ بالعلم والعمل وبالاستثمار، وبإبداع الحضارة لكل الأنواع، والترقي بالماديات والنباتات والحيوانات، ويراعي حقَّ

(١) - الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن، د/ محمد بن فتح الله بدران، ص ٣٧٨.

(٢) - سورة القيامة الآية (١٤).

(٣) - سورة الذاريات الآية (٢١).

شركائه في الخلافة بالأخوة.

٤- يحقق عبادته بإرضاء ربه، فيبذل ما هو مطلوب منه، وما هيئ له، فالعبادة هي المطلب الأساس من كل الناس؛ لأنها الحضارة الإنسانية لكل الناس، يقول رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٢). (٣)

(١) - سورة البقرة الآية (٢١ - ٢٢).

(٢) - سورة الذاريات الآية (٥٦ - ٨٥).

(٣) - الفلسفة الحديثة في الميزان ص ٣٤٦، ٣٥١.

الفصل الثالث:

صور من فهم مقاصد القرآن في فقه الواقع

مدخل: لما كان الإنسان مطالباً ببناء حضارة، فإن الحضارة الحقّة للإنسان لا تكون إلا من القرآن وفهم مقاصده؛ إذ القرآن الكريم دون أدنى شكّ صالح لأن يُعمل به في كل زمانٍ ومكان؛ لِجَمْعِهِ في وقتٍ واحدٍ بين التمسك بالمبادئ والقيم وبين الواقعية التي تعني: تطبيقه على أرض الواقع بلا حرجٍ ومشقة. وتتجلى بعض هذه المعاني في المبحثين التاليين:

المبحث الأول

التوجيه القرآني في بناء العقيدة الصحيحة ومعالجة الإلحاد.

العقيدة الصحيحة هي أساسٌ لكلّ تشريعٍ ضابطٍ لحركة الإنسان اليوميّة في غدوه ورواحه، وفي علاقاته المختلفة سواء في ذلك علاقته بالله والكون، أم علاقته بنفسه، وبالمجتمع وما فيه، ولذا بيّن القرآن الكريم الأصول الجامعة لهذه العقيدة، والمسائل المتفرعة عنها، كما أشار في آياته الكريمة إلى دلائل هذه المسائل، وأقام البراهين على صحتها، ولم يترك لأحدٍ فيها مقالاً بالزيادة عليها أو النقصان منها، واجتمع عليها جيل الصحابة في عصر النبوة، ومن بعدهم جيل التابعين وتابعي التابعي، وتلقاها خلف الأئمة جيلاً بعد جيلٍ يأخذها خلفهم عن سلفهم، ينقلها السابق منهم إلى اللاحق، دون تحريفٍ ولا تبديلٍ، فحملها من كلّ جيلٍ عدوله حفظاً لها، وعملاً بمقتضاها، مؤمنين بحفظ الله - تعالى - لها في كتابه الذي تعهد الله بحفظه وبيانه. (١)

ولذا فإنك تجد القرآن قد تَصَمَّنَ جميعَ الأصولِ العقائدية: الإلهيات منها والنبوات والسمعيات:

فَنَزَّهَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ أَنْ يُشَبَّهَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَوْ يُشَبَّهَ هُوَ شَيْءٌ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

(١) - موسوعة العقيدة الإسلامية ص ٢٦ ، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، كتاب: عقيدتنا أذ/ محمد ربيع جوهري ١/ ٢٠، ط (١٠) عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت ص ٤٩، ط: مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، عام ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م.

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾.

وَأَثَبَتْ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢).

وَنَفِي الْإِحَاطَةِ لِمُدْرِكِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (٣).

وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ قَادِرًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤)، وَكَوْنَهُ عَالِمًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَالِمًا﴾ (٥)، وَكَوْنَهُ مُرِيدًا بِقَوْلِهِ: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (٦)، وَكَوْنَهُ سَمِيعًا بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ (٧)،

وَكَوْنَهُ بَصِيرًا بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ (٨)، وَكَوْنَهُ مُتَكَلِّمًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (٩)،

وَكَوْنَهُ حَيًّا بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (١٠).

وَأَثَبَتْ إِزْسَالَ الرُّسُلِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ (١١)، وَرِسَالَهَ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (١٢)، وَأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (١٣).

(١) - سورة الشورى من الآية (١١).

(٢) - سورة القيامة الآية (٢٢، ٢٣).

(٣) - سورة الأنعام من الآية (١٠٣).

(٤) - سورة المائدة من الآية (١٢٠).

(٥) - سورة الطلاق من الآية (١٢).

(٦) - سورة هود من الآية (١٠٧)، وسورة البروج الآية (١٦).

(٧) - سورة المجادلة من الآية (١).

(٨) - سورة العلق الآية (١٤).

(٩) - سورة النساء من الآية (١٦٤).

(١٠) - سورة البقرة من الآية (٢٥٥)، وسورة آل عمران من الآية (٢).

(١١) - سورة يوسف من الآية (١٠٩)، وسورة النحل من الآية (٤٣).

(١٢) - سورة الفتح من الآية (٢٩).

(١٣) - سورة الأحزاب من الآية (٤٠).

وَأَثَبَتْ أَنْ كُلَّ مَا سِوَاهُ خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، وَأَنَّهُ خَالِقُ الْحِنِّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْحِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

وَحَشَرَ الْأَجْسَادِ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٣) إِلَى أَمْثَالِ هَذَا مِمَّا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ فِي عَقِيدَتِهِ مِنْ: حَشْرٍ وَنَشْرِ، وَقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، وَجَنَّةٍ وَنَارٍ، وَقَبْرِ، وَمِيزَانٍ، وَحَوْضٍ، وَصِرَاطٍ، وَحِسَابٍ، وَصُحُفٍ، وَكُلِّ مَا لَا بُدَّ لِلْمُعْتَقِدِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤)، فَاسْتَبَانَ بِذَلِكَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ مُقْنِعًا لِمَنْ عَزَمَ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ النَّجَاةِ، وَرَغِبَ فِي سُمُومِ الدَّرَجَاتِ^(٥)؛ إِذْ قَدْ بَنَى الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ فِي الْقُلُوبِ بِنَاءً مُحْكَمًا يَقْنَعُ الْعَقْلَ، وَيَشْبِعُ الْعَاطِفَةَ، وَيُوَائِمُ الْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ.

فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ هَدَمَ الْعَقَائِدَ الْبَاطِلَةَ الْمُنْتَشِرَةَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَدَحَضَ شِبْهَ الْمُنْكَرِينَ لِلْأُلُوهِيَّةِ، وَلِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَكَانَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سِمَاتٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الشَّبَهَاتِ وَالْإِفْتِرَاءَاتِ تَقُومُ عَلَى التَّرْفُقِ بِالْمُخَالَفِ؛ رَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ، وَمِنْ هَذِهِ السِّمَاتِ:

- ١- الوضوح: لغة واضحة جلية، وحقائق محكمة يسهل فهمها بعيداً عن الغموض أو اللبس.
- ٢- الشمول والاستقصاء: الشمول في عرض الشبهة والاستقصاء في الأدلة المعالجة للشبهة؛ حتى لا يبقى لمعانيد عذر.
- ٣- التكرار للتأكيد: حيث يتم تكرار فكرة الرد في سياقات مختلفة، وأحداث ومواقف يعالجها القرآن الكريم لتأكيد، وأن الحق لا يتعدد، وثابت لا يتغير.
- ٤- التزام مكارم الأخلاق: يعلمنا القرآن أن من يفترى علينا بالباطل نرد عليه بالتى هي أحسن.

(١) - سورة الزمر من الآية (٦٢).

(٢) - سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٣) - سورة طه الآية (٥٥).

(٤) - سورة الأنعام من الآية (٣٨).

(٥) - فيض التقدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٤/ ٥٣٦. بتصرف يسير

٥- الإصلاح والهداية: يهدف القرآن الكريم من حوارهِ مع الفكر المخالف إلى الإصلاح والهداية، إنه منهج يقدم الإعانة على الإدانة.

كما ينبه القرآن أهل العناد والإصرار على الضلال والافتراء على الله تعالى كذباً بعاقبة المآل؛ ترغيباً بعاقبة الجنة للطائعين، وترهيباً من عاقبة النار للمذنبين.

وهذا منهج رباني للحوار النافع الإيجابي بيّنه القرآن لكل مسلم؛ حتى يكون على بينة بمعالم الحوار الرباني الذي يقوم على مرضاة الله - تعالى - (١).

وبهذا المنهج القرآني تتعري أوهام الإلحاد وتظهر أكاذيب الملحدين، تلك الظاهرة الغربية التي استقطبت قطاعاً من الفلاسفة والمفكرين الغربيين، وشرائع من الجماهير منذ الجاهلية اليونانية وحتى العصر الذي نعيش فيه، وتسلسل هذا الإلحاد الغربي إلى نذر من الشباب المسلم، الذين لم تقو مداركهم في العلم القومي، ولم تتحصن عقولهم بالوعي الفكري الإسلامي، ولم تهذب وجداناتهم بالتربية الإسلامية التي تؤسس لطمأنينة القلوب، فتساقط نذر من هؤلاء الشباب في مستنقع الإلحاد تساقط الغرقى الذين اجتذبتهم أمواج المحيطات دون أن تكون لهم الدراية - فضلاً عن المهارة - في التعامل مع أمواج المحيطات وعواصفها وتقلباتها.

إن الإلحاد يفترس طمأنينة النفوس البشرية، ويقطع الأمل أمام أهله فيغرقهم في طريق اليأس والقنوط. (٢)

(١) - منهج القرآن في الرد العلمي على الشبهات والافتراءات د/ محمد محمد داود ص ٣١: ٣٥، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (هدية منبر الإسلام) جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ.

(٢) - ينظر: وهم الإلحاد، أ.د/ عمرو شريف، تقديم أ.د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر المحرم ١٤٣٥هـ، حوار مع صديقي الملحد، د/ مصطفى محمود، دراسة وتقديم أ.د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الأولى ١٤٣٦هـ.

المبحث الثاني

التوجيه القرآني في بناء العمران ومعالجة البطالة.

إذا كان القرآن الكريم صريحاً في أن الغاية التي خلق الإنسان من أجلها هي عبادة الله - تعالى -، فإن العبادة تعني: السير في الطريق التي تؤدي إلى تحقيق خلافة الإنسان عن الله تعالى في الأرض، ومن لوازم هذا - بعد الإيمان بالله - الضرب في الأرض، والتعاون مع الغير، وأداء الواجب، والمحافظة على حقوق الآخرين، فالقرآن قد وازن بين مادة الإنسان وروحه؛ حتى يستقيم أمره ويسعد في أولاه واخلاه، والمادة عند الإنسان ليست غاية في ذاتها، وإنما هي عون له على سلوكه الصراط المستقيم، ولذلك وجهنا القرآن للاستفادة من هذا الكون في رفعة الإنسان وبناء الحضارة، فإرشادنا إلى الصناعة والزراعة والتجارة.

ففي الصناعة ذكر صنعتي البناء التي تمثل جانباً من جوانب التعمير، وعمل الدروع التي تمثل جانباً من جوانب القوة الدفاعية التي تحيا عليها الأمم، ففي البناء ذكر ما قام بها إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام من رفع قواعد البيت الحرام، فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾^(١)، وفي الصناعة قال في شأن داود - عليه السلام -: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(٢)، وذكر صناعة أمتعة البيت وأثاثه بقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ

(١) - سورة البقرة من الآية (١٢٧)، فهذه من كمال الحال؛ إذ هو في حال البناء، والتعب، والعرق، ويسأل أن يتقبل منه عمله. هذا شأن الكمال من الرجال. أيسر التفاسير للجزائري ١/ ١١٤.

(٢) - سورة الأنبياء من الآية (٨٠)، فقد أخبر الله - تعالى - أن أول من عمل الدرع داود - عليه السلام - ثم تعلم الناس منه فعمت النعمة بها كل محارب من الخلق إلى آخر الدهر، فلزمهم شكر الله على هذه النعمة. روح البيان للبرسوي ٥٠٨/٥.

إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْلًا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ ﴿١﴾، وأيضاً قوله تعالى حكاية عن جن سليمان: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِحْفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ^ع أَعْمَلُوا^ع آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢﴾، بل إنه ذكر معدن الحديد وهو العنصر الفعال في كل ما جد واستحدث من صناعة وعمارة: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣﴾.

وكم للزراعة في القرآن من آيات؛ إذ هي الأصل الأول في حياة الناس المادية: ﴿وَأَيُّهُمُ الَّذِي يُزَكِّيهِمْ^ع لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ كَمَا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾، وما كان من يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ^ع إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٥﴾.

(١) - سورة النحل من الآية (٨٠)، فهذا من تعداد النعم التي ألهم الله إليها الإنسان، وهي نعمة الفكر بصنع المنازل الواقية والمرفهة وما يشبهها من الثياب والأثاث، وهذه النعمة أصل حفظ النوع من غوائل حوادث الجو من شدة برد أو حر ومن غوائل السباع والهوام، وهي أيضاً أصل الحضارة والتمدن؛ لأن البلدان ومنازل القبائل تتقوم من اجتماع البيوت. التحرير والتنوير ١٤ / ٢٣٧.

(٢) - سورة سبأ الآية (١٣).

(٣) - سورة الحديد الآية من الآية (٢٥)، فمن الحديد تكون السيوف وآلات الحرب، ومنه - ومع غيره - تتكون القصور الفارهة، والمباني العالية الواسعة، والمصانع النافعة.. وآلات الزراعة والتجارة. التفسير الوسيط أ.د/ محمد سيد طنطاوي ١٤ / ٢٢٨.

(٤) - سورة يس الآية (٣٣ - ٣٦).

(٥) - سورة يوسف الآية (٤٧)، قال القرطبي: هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي: حفظ الأديان، والنفوس، والعقول، والأنساب، والأموال، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت

أما التجارة فقد ذكرها الله تعالى في القرآن منّة على قريش خاصة وعلى الناس عامة، ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ
* إِعْلَانِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ
وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١)، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُوبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾^(٢)،^(٣)

وبهذا يكون القرآن الكريم قد اتصل بالحياة العملية اتصالاً وثيقاً، ويبيّن أنّ الكون غني بالطاقات الحيوية،
والإنسان مفتاح هذا الكون، واستيعاب الإنسان لهذه المعاني وفهمها تتقلص لديه مشكلة البطالة
وتتضاءل حتى تضمحل.

فالبطالة أضحت مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية ذات خطرٍ على الفرد وعلى الأسرة وعلى
المجتمع، فهي تؤثر على الفرد: اقتصادياً: تفقده الدخل، صحياً: تفقده الحركة، نفسياً: يعيش في فراغ،
اجتماعياً: ينقم على غيره.

وقد عالج الإسلام ظاهرة البطالة من جانبين: وقائي وعلاجي:

فالأول: قبل وقوع ظاهرة البطالة وانتشار آثارها وأضرارها، بالحث على العمل ودم المسألة.

شيئاً منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية، ليحصل لهم
التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة رحم
بها عباده). الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٠٣.

(١) - سورة قريش الآية (١ - ٤)، فالله - تعالى - قد أمر قريشاً بتوحيده تعالى بالربوبية تذكيراً لهم بنعمة أنّ الله مكن
لهم السير في الأرض للتجارة برحلتى الشتاء والصيف لا يخشون عادياً يعدو عليهم، وبأنه أمنهم من المجاعات وأمنهم
من المخاوف لما وفر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة. التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٥٤.

(٢) - سورة البقرة من الآية (٢٨٢).

(٣) - الإنسان في القرآن الكريم، د/ أحمد إبراهيم مهنا، ص ٩١، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، دراسا قرآنية في
العقيدة والأخلاق والاجتماع، د/ سيد أحمد المسير، ص ١٠٤، ط: مكتبة الإيمان، الدين والحضارة الإنسانية، أ.د/
محمد البهي ٢/ ١٠٦، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

- والثاني: بعد وقوع بعض أفراد المجتمع فيها، من خلال أوامر صريحة وإجراءات ملزمة، تجعل من السهل التصدي لمعالجة ظاهرة البطالة ومشكلة العطالة في المجتمع، منها:
- ١- الدعوة إلى العمل الصالح، وترك التواكل، قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴾^(١)
 - ٢- تغيير النظرة السائدة إلى المهن، فالعديد من الشباب لا يرغبُ العمل في المهن والصناعات اليدوية، ممَّا يُؤدِّي إلى تراكم هذه المهن، وعدم ملاحقة احتياج الأيدي العاملة.
 - ٣- استعمال الطاقات المعطلة في المجتمع واستخدامها.
 - ٤- دعم وتحفيز مؤسسات المجتمع المدني في دعم المشروعات الصغيرة: مثل الجمعيات الخيرية والاجتماعية، ومؤسسات الزكاة، والنقابات، وما في حكم ذلك.
 - ٥- التركيز على التعليم المهني والحرفي في ضوء متطلبات سوق العمل.
 - ٦- سياسة التدريب: وضع برامج موضوعية ومتخصصة لتحويل مسارات الخريجين حسب متطلبات سوق العمل.^(٢)

(١) - سورة الحجر الآية (١٩ - ٢٠)، أي: أنه سبحانه يسر لكم أسباب المكاسب، وصنوف المعاش وسخر لكم الدواب التي تركبونها، والأنعام التي تأكلونها، والعبيد التي تستخدمونها، فكل أولئك رزقهم على خالقهم لا عليكم، فلکم منها المنفعة، ورزقها على الله تعالى. تفسير المراغي ١٤/١٦.

(٢) - الإنسان والوجود، دحسن عباس زكي، ص١٥٦ ت / خديجة النبراوي ط (٢) دار العواصم ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، لإسلام والأوضاع الاقتصادية للشيخ محمد الغزالي ص٩٩، ١٠٠ بتصرف ط (٣) نهضة مصر ٢٠٠٥م، قضايا معاصرة بقلم مجموعة من العلماء، ص٩٥، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسل بالكتاب المبين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه الجولة السريعة في هذا الموضوع الذي يوضح أن نجاح الأمم وصناعة الحضارات يرجع إلى مقدار ما بُذل فيها من جهود الشباب وهممهم، ومن ثمّ كان من الضروري في هذه المرحلة تهيئة الأسباب التي تضبط سلوكياتهم بالقيادة الحكيمة إلى الصراط المستقيم حيث أعمال الفكر، وتشغيل القدرات العقلية، واستخدام الطاقات الذهنية، فكان على الشباب أن يجعلوا من القرآن الكريم ظلّة تنطق بالمعرفة والعلوم والأفكار، وأن يتخذوا منه هاديًا ومنبعاً لقيام بحوث تنهض بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتمدهم بمطالب الحياة.

وقد توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

- ١ - الحصانة التي يتحصن بها الشباب تجاه تلك الهجمة الشرسة التي يقودها أعداء الإسلام تكمن في فهم القرآن فهما يقوم على حقائق العلم الصحيح؛ إذ القرآن الكريم هو الأقدر على أن يعالج بمنهجيته السمحة مشكلات الوجود الإنساني، وأزماته الفكرية والحضارية.
- ٢ - لمقاصد القرآن دور حيوي في بناء الحضارة والعمران، تستطيع الإنسانية بانتهاجه الحصول على الهداية والرحمة والنور.
- ٣ - القرآن المجيد قد وجّه الشباب إلى فقه الواقع، وضرورة تحليله ودراسته وفهمه، فعلى الشباب الوعي بواقعهم بحيث يكونون متدينين دون أن ينفصلوا عن عصرهم وواقعهم.
- ٤ - تأصيل معاني القرآن في عقول الأمة، وانتشار الوعي به لدى الشباب - مستعينين بما خلفه لنا سلف الأمة من أصولٍ، ودعائمٍ، نهضٌ وينهضُ على ركائزها تفسير القرآن الحكيم بما يحقق للأمة الإسلامية خلافتها - عملٌ شاق يحتاج إلى جهود مضيئة.
- ٥ - بناء القرآن الكريم العقيدة الصحيحة في القلوب بناءً محكمًا يقنع العقل، ويشبع العاطفة، ويوائم الفطرة السليمة، ودحضه لشبه المنكرين للألوهية، كشف عوار الإلحاد وأظهر أكاذيب الملحدين.



٦- القرآن الكريم قد اتصل بالحياة العملية اتصالاً وثيقاً، وبين أن الكون غني بالطاقات الحيوية، والإنسان مفتاح هذا الكون، واستيعاب الإنسان لهذه المعاني وفهمها تقلص لديه مشكلة البطالة وتتضاءل حتى تضمحل.

وطيب لهذه الدراسة أن تقدم بعض التوصيات، وهي: تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى الشباب وبيان أن الحضارة الحقة للإنسان لا تكون إلا من القرآن وفهم مقاصده، عمل دراسات حول مقاصد القرآن، واستجلاء مراميه وغاياته وربطها بالقضايا المعاصرة.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: التفسير وعلوم القرآن:

- ١ - الإثنان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، ت: د/ محمد متولي منصور، ط: مكتبة دار التراث (١) ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.
- ٢ - الإنسان في القرآن الكريم، د/ أحمد إبراهيم مهنا، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.
- ٣ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، ط: مكتبة العلوم والحكم، (٥) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٤ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، ت/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، عام ١٤١٩هـ.
- ٥ - التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر، عام ١٩٨٤م.
- ٦ - تفسير القرآن الحكيم والمسمى (تفسير المنار) محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام: ١٩٩٠م.
- ٧ - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ط: دار الفكر العربي - القاهرة.
- ٨ - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط: مصطفى البابي الحلبي، (١) ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ٩ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر - دمشق، ١٤١٨هـ.
- ١٠ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر - القاهرة.
- ١١ - تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١) ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- ١٢ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت/ أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، (١) ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

- ١٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، ت/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية - القاهرة، (٢) ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ١٤- خواطر حول القرآن الكريم الشيخ / محمد متولي الشعراوي، ط: مطابع أخبار اليوم.
- ١٥- دراسات قرآنية في العقيدة والأخلاق والاجتماع، د/ سيد أحمد المسير، ط: مكتبة الإيمان.
- ١٦- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، للشيخ/ محمد علي الصابوني، دون تاريخ.
- ١٧- روح البيان في تفسير القرآن إسماعيل حقي البرسوي، ط: دار الفكر - بيروت
- ١٨- زهرة التفاسير، لمحمد أبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.
- ١٩- محاسن التأويل للقاسمي، ت/ أحمد بن علي، ط: دار الحديث بالقاهرة
- ٢٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله النسفي، ت/ يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت (١) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- ٢١- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي، ط: مكتبة المعارف - الرياض، (١) ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م.
- ٢٢- معالم في المنهج القرآني، أد/ طه جابر العلواني، دون بيانات.
- ٢٣- مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران (دراسة تحليلية تقويمية) د/ أردوان مصطفى إسماعيل المزروي، مجلة النور للدراسات الفكرية العدد ١٨ السنة التاسعة عام ٢٠١٨ م.
- ٢٤- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: دار الحديث بالقاهرة.
- ٢٥- منهج القرآن في الرد العلمي على الشبهات والافتراءات د/ محمد محمد داود، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (هدية منبر الإسلام) جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ.
- ٢٦- النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، اعنتى به: أحمد مصطفى فضلية، تقديم: أ.د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط: دار القلم، عام ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٢٧- نحو منهج لتفسير القرآن للشيخ محمد الصادق عرجون، ط: الدار السعودية، (٣) ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.

- ٢٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
- ٢٩- الوحي المحمدي للسيد محمد رشيد رضا، ط: مطبعة المنار بمصر، عام ١٣٥٤هـ.
- ثالثاً: في الحديث:**
- ٣٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، (١) ١٣٥٦هـ.
- رابعاً: في العقيدة:**
- ٣١- عقيدتنا أ د/ محمد ربيع جوهرى، ط (١٠) عام ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- ٣٢- فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال، لابن رشد الحفيد، تحقيق: د/ محمد عمارة، ط: دار المعارف (٢)
- ٣٣- الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن، د/ محمد بن فتح الله بدران، ط: مكتبة القاهرة الحديثة، (٢) ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.
- ٣٤- موسوعة العقيدة الإسلامية، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية.
- خامساً: في اللغة:**
- ٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ط: دار الهداية.
- ٣٦- لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر - بيروت، (٣) ١٤١٤هـ.
- ٣٧- مقاييس اللغة لابن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- سادساً: في الفقه وأصوله:**
- ٣٨- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٩- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ط: طار الغرب الإسلامي، (٥) ١٩٩٣م.
- ٤٠- مقاصد الشريعة، أ د/ طه جابر العلواني، ط: دار الهادي - بيروت، (١) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.
- ٤١- الموافقات في أصول الفقه للشاطبي، ت: أ د/ محمد عبد الله دراز، ط: دار المعرفة - بيروت.
- سابعاً: في موضوعات متفرقة، وقضايا معاصرة:**
- ٤٢- أزمة الإنسانية ودور القرآن في الخلاص منها د/ طه جابر العلواني، ط: دار الشروق عام ٢٠٠٥م.

- ٤٣- الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت، ط: مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، عام ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م.
- ٤٤- الإسلام والأوضاع الاقتصادية للشيخ محمد الغزالي، ط (٣) نهضة مصر ٢٠٠٥م.
- ٤٥- الإنسان والوجود، د حسن عباس زكي، ت / خديجة النبراوي ط (٢) دار العواصم ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م
- ٤٦- حوار مع صديقي الملحد، د / مصطفى محمود، دراسة وتقديم أد/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الأولى ١٤٣٦هـ.
- ٤٧- الدين والحضارة الإنسانية، أ.د/ محمد البهي، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.
- ٤٨- رسالة إلى الشباب، إعداد نخبة من كبار المفكرين وعلماء المسلمين، ط: وزارة الأوقاف المصرية.
- ٤٩- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ط: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، عام ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م.
- ٥٠- الطريق إلى التراث الإسلامي: مقدمات معرفية ومداخل منهجية، أ.د/ علي جمعة محمد، ط: نهضة مصر، (١) ٢٠٠٤م.
- ٥١- الفكر الديني وقضايا العصر، أ.د/ محمود حمدي زقزوق، ط: مجلس حكماء المسلمين.
- ٥٢- قضايا معاصرة بقلم مجموعة من العلماء، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.
- ٥٣- وهم الإلحاد، أ.د/ عمرو شريف، تقديم أ.د / محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر المحرم ١٤٣٥هـ.

فهرس موضوعات البحث

المخلص:	٥
مقدمة	٧
تمهيد: وفيه حديث القرآن عن الشباب، وعوامل الاستفادة من قدراتهم وطاقاتهم	١٠
الفصل الأول: الشباب والفهم المقاصدي للقرآن الكريم: أهداف وغايات	١٣
المبحث الأول: مقاصد القرآن: تأسيس وتجديد	١٤
المبحث الثاني: مقاصد القرآن ودورها في ترقية النوع الإنساني	١٦
المبحث الثالث: معالم التعامل مع القرآن الكريم	١٨
الفصل الثاني: الشباب وفقه الواقع: رؤية قرآنية تأصيلية	٢١
المبحث الأول: القرآن وفقه الواقع: دلالات وهدايات	٢٢
المطلب الأول: فقه الواقع: فحواه ومعناه	٢٢
المطلب الثاني: منهج القرآن في التعامل مع فقه الواقع	٢٣
المطلب الثالث: فقه الواقع ومقاصد القرآن الكريم	٢٤
المبحث الثاني: عناية القرآن بواقع الإنسان	٢٦
الفصل الثالث: صور من فهم مقاصد القرآن في فقه الواقع	٢٨
المبحث الأول: التوجيه القرآني في بناء العقيدة الصحيحة ومعالجة الإلحاد	٢٨
المبحث الثاني: التوجيه القرآني في بناء العمران ومعالجة البطالة	٣٢
خاتمة	٣٦
فهرس المصادر والمراجع	٣٨
فهرس موضوعات البحث	٤٢